Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التسهيل وشرحه لابن مالك الأندلسى أو فى كتاب ارتشاف الضَّرَب أى عسل النَّحْل لأبى حيان الأندلسى أو فى مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام المصرى أو فى هَمْع الهوامع للسيوطى أو فى حاشية الصبَّان على الأشمونى، فستجد نفسك أمام موسوعات نحوية كبرى، تساق فيها آراء جميع النحاة: بصريين وكوفيين وبغداديين وأندلسيين ومصريين، حتى لتعجب أشدّ العجب من قدرة هؤلاء المؤلفين النابهين على جمع هذا التراث النحوى الهائل منذ سيبويه إلى زمن كل منهم، تقدَّم الزمن أو تأخر. وما ذلك إلا لأنه كان تراثًا واحدًا، وهو تراث اشتركت فيه الأمة العربية بجميع نحاتها من أقصى الشرق فى خراسان إلى أقصى الغرب فى الأندلس، حتى ليخيل إليك كأن النحاة الماضين من جميع البلدان العربية وعلى مرّ الأزمنة عاشوا فى بلدة كبيرة واحدة، فكل نحوى يعرف الأئمة السابقين له فى مختلف بلدانهم، وكأنهم مواطنون له يواطنونه فى بلدته، ويعايشهم يوميًّا ويخالطهم فى غدوّهم ورواحهم ومحاضراتهم وإملاءاتهم، ولذلك كنت دائمًا تجد العالم العربى – لا فى علم النحو وحده بل فى كل العلوم وخاصة الدينية – حين يبرح إقليمه إلى بلدة فى إقليم آخر لا يشعر أنه غريب؛ إذ كثيرًا ما يجد شهرته سبقته إليها، وربما سبقته إليها بعض مؤلفاته ومصنفاته، فإذا علماؤها يرحِّبون به، وإذا هو يجد طلابًا يريدون الاستماع إليه، وسرعان ما يستديرون حول حلقته لاستماع دروسه.

ونضرب لذلك مثلا: أبا حيان النحوى فإنه حين ترك موطنه: الأندلس إلى القاهرة فرض له علماؤها وظيفة فى أحد المساجد واستدار حوله الطلاب يستمعون إلى ما يلقيه. وهو نفسه ما حدث لكثيرين من العلماء قبله وبعده ممن نزلوا فى القاهرة، واتخذوها موطنا لهم ومقاما، وهم يعدون بالعشرات. ولم يكن ذلك يحدث فى القاهرة وحدها، بل كان يحدث فى كل مدن العالم العربى، فهو عالَمٌ واحد، عِلْمه دائما واحد وتراثه واحد.

وعلى نحو ما رأينا من وحدة التراث فى النحو كانت تعم نفسَ الوحدة فى التراث اللغوى وكتبه ومعاجمه، فمن يؤلف معجمًا أو كتابًا لغويا يضع الكتب